معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

Submission date: 23 Feb 2017
Accepted date: 15 April 2017

استعمالات خاصة للقرآن الكريم لبعض المفردات

THE PECULIAR APPLICATION OF QURANIC WORDS FOR SOME TERMINOLOGIES

Abdoul Karim Toure
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: karim.toure@usim.edu.my

Mohd Yusuf Ismail
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: yusufismail@usim.edu.my

Mohd Zohdi Mohd Amin
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: zohdi@usim.edu.my

Mesbahul Hoque
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: mesbahul@usim.edu.my

Robiatul Adawiyah Mohd @ Amat
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: adawiyah@usim.edu.my

Norazman Alias
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: norazman@usim.edu.my

Zainora Daud
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: zainora@usim.edu.my

Norzulaili Mohd Ghazali
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: norzulaili@usim.edu.my

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ABSTRACT

This study aims to highlight some of the use of the Quran certain Arabic words known in a different meaning which does not change the original meaning but adds new meaning suitable with the story or topic which increases the beauty of the eloquence of the Qur'an. The study also highlights the accuracy in which the Qur'an select its words which gives a clear picture to the reader. The study also highlights the unique style of Coran in using some known common worlds for all types of some category of things to a specific and solely use. The researchers adopted the inductive method in interpretation and analysis of the chosen verses and elaborate in their study. The most important findings of the study are that the meanings and interpretation of the Qur'an is continuous for the successive generations, it is tender and inexhaustible for scholars capable to interpret it base.

Keywords: Peculiar, Quranic Words, Terminologies

المقدِّمة

الحمد لله، علَّم القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان. والصَّلاة والسَّلام على المعلِّم الأمي سيِّد الخلق أجمعين، وعلى آلة الطيِّبين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تُبلى السَّرائر، وبعد.

القرآن الكريم حبل الله المتين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا ينضب معينه بمرور الزَّمان وكرّ الدهور. وليكون التجديد في العطاء مستمرًّا وشاملاً للأجيال اللاحقة لم يفسِّر الرَّسول ﷺ من معاني القرآن لصحابته رضوان الله عليهم أجمعين إلا ما استعصى عليهم فهمها ولا يمكن إدراكها إلا بتعليمهم إيَّاها[1].

وكأنَّه ﷺ أراد بذلك أن يقرِّر أبديَّة القرآن الكريم وأنَّه صالح لكل زمان ومكان، وأنَّ على كل جيل من الأجيال اللاحقة أن يفسِّره بما يفتح الله عليها من فتوحات في مواجهة القضايا الجديدة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها حسب الضوابط الشرعية المعروفة.

فعدم تفسير رسول الله ﷺ القرآن كلّه إنَّما أراد ترك المجال مفتوحاً للعلماء المجتهدين من بعده والدّارسين ليغوصوا ويسبحوا في أعماق بحر القرآن ليستخرجوا كنوزه المدخورة في بطن العصور مع مراعاة الضوابط الشرعية التي

[1] ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير. 1413هـ/1993م. تفسير القرآن العظيم. د.ط. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. أنَّه لما نزل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الأنعام: 82 قالوا – الصَّحابة – أيُّنا لم يظلم نفسه، وشق عليهم، فقال ﷺ ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح – لقمان – ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13) إنَّما هو الشرك. ج 142/1. وأصل الحديث في البخاري، محمَّد بن إسماعيل. 1422هـ/ 2002م. الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وسننه وأيَّامه. الطَّبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الصَّفا. كتاب الإيمان، باب: ظلم وتظلم، الحديث رقم 32 118/1. وفي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُم إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ المؤمنون: 60. قالت عائشة رضي الله عنها، أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال ﷺ لا يا بنت الصديق، ولكنَّهم الذين يصلون ويصومون وهم يخافون ألا يُقبل منهم. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 3 /24.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

تحفظ للقرآن قدسيته. إذ لو أنَّه ﷺ فسَّر القرآن كلّه لما جاز لأحدٍ من بعده أن يفسِّره بعد تفسيره ﷺ، وهذا يدل على أنَّ الباب لايزال مفتوحاً للعلماء.

فالذين قاموا بتفسير كتاب الله تعالى مِن بعده ﷺ بدءاً بالصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى يومنا هذا إنَّما فسَّروه حسب طاقتهم وقدراتهم. ومنذ ذلك الحين إلى عصرنا هذا، فقد اكتظت المكتبة الإسلامية بأنواع وألوان التفاسير، فَمِنها ما هو مقبول كتفاسير بالمأثور وبالرَّأي المقبول، ومنها ما هو مذموم مردود كتفاسير بمجرَّد الرَّأي الذي لا يستنِد إلى كتابٍ مسطور ولا سنة مأثورة، بل على الهوى ومحاولة نُصرة فكرة معيَّنة اعتنقها أصحابها كالتفسير الاعتزالي والباطني والصُّوفي والفلسفي وبعض التفاسير العلمية المعاصرة.

القرآن الكريم وإن كان محدودًا بحروفه وكلماته إلا أنَّه غير محدود بمعانيه وتوجيهاته وحلوله، وقد أودع الله فيه كل ما تحتاجه البشرية خلال تطوُّرها الطويل، وأنَّ على كل جيل من أجيال المسلمين إعادة قراءة القرآن وتفسيره في ضوء ما تواجهه من تحديات وفيما يحتاجه من حلول لمشكلات عصره، وهذه الحقيقة أكَّدها علي بن أبي طالب ﷺ حينما سُئل "هل عندكم – أهل بيت النُبوَّة – شيء ما ليس في القرآن؟ – وقال مرَّة ما ليس عند النّاس, فقال: والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهمًا يُعطَى رجل في كتابه"[2]. كما يُمكن أن يؤكَّد ذلك بقوله تعالى:﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. الكهف: 109. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾ لقمان: 27. فالمراد بالكلمات هنا، معانيها لا الألفاظ، لأنَّ الألفاظ محدودة.

إنَّ ترك النَّبي ﷺ تفسير وبيان كل معاني القرآن الكريم إنَّما هو للتدبُّر والتفكُّر وتدريب الأمَّة على دقَّة الفهم والاستنباط من خلال منهج عملي، وبذلك تكون العقول قادرة على الاجتهاد في الأمور التي لم يُنَصَّ عليها وفي الوقائع المستجدَّة التي تحتاج إلى فهم سديد في إدراكها، ومِن ثَمَّ تنزيل الأحكام العملية عليها بما يتوافق مع قواعد التشريع ومقاصده. وقد أشار القرآن الكريم إلى بيان النَّبي ﷺ وإلى ضرورة التفكّر والاستنباط في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. النحل: 44.

فعمل الباحثون في هذه الدراسة سيكون بعون الله تعالى كالتالي:

إبراز بعض النِّكات والخواطر التي يفتحها الله عليه لبعض الآيات وبيان بعض الأسرار في استخدام المولى عزَّ وجلَّ بعض العبارات. وذكر الفرق بين معاني بعض الآيات التي ظاهرها التكرار، أو قل إن شِئتَ توجيه متشابه القرآن.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، كتاب الدِّيات، باب العاقلة، الحديث رقم 6903.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد برز في هذا المجال مِن العلماء القدامى الإمام فخر الدين الرَّازي المتوفي 544 هـ في تفسيره "مفاتيح الغيب" أو "التفسير الكبير"، ومن قبله صاحب الكشَّاف العلامة الزَّمخشري المتوفي عام 538 هـ في تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". والعلامة تاج القُرّاء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المتوفي حوالي 505 هـ في كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن". والإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي المتوفي 708 هـ في كتابه "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل". ومن المعاصرين الشيخ المرحوم العلامة محمَّد متولي الشعراوي، والدكتور فاضل صالح السَّامرائي.

مع هذه الجهود المباركة التي بذلها علمائنا قديماً وحديثاً لخدمة كتاب الله واستخراج كنوزه، إلا أنَّك أحياناً وأنت تتصفَّح هذه الكتب تجد في بعضها شيئا قليلاً أو كثيراً من التكلُّف وذلك بغية إبراز بعض جمال هذا الكتاب، ومحاولة إثبات عدم التكرار لبعض الآيات التي ظاهرها التكرار، وسر استخدام الله سبحانه وتعالى لبعض الكلمات في بعض المواضع بدل مرادفها التي لا تناسب في ذلك المكان.

فكتاب الله في غنى عن هذا التكلُّف الذي منبعه العاطفة الدينية الصَّادقة والحب العميق لهذا الكتاب، والرَّغبة الشَّديدة لخدمته خاصة وهذا الدين عامة. ويظهر هذا الأمر كثيراً عند المتأخرين.

وهذا بالطَّبع لا يقدح في علمهم ولا عملهم – إن شاء الله – فقد أبلوا بلاءاً حسناً واجتهدوا حسب طاقتهم، والمصيبون منهم لهم أجران، وللذي لم يصب أجر واحد. والماء إذا بلغ قُلَّتين لم ينجس.

فندعو الله لهم بالثبات والتوفيق وسداد أقلامهم لخدمة هذا الدين وهذا الكتاب الخالد الذي لا يجف معينه، ونترحَّم على الذين ارتحلوا منهم سلفهم وخلفهم قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. الحشر: 10.

قال رزق الله أبو محمَّد التميمي البغدادي[3] رحمه الله : يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا فلا تترحمون علينا. لن نألوا جهداً في إبراز بعض النِّكات والخواطر مما يفتح الله عَلينا دون تكلُّفٍ، وسوف نشير بكل أمانة إلى

[3]هو رزق الله ابن الإمام أبي الفرج الشيخ الإمام، المعمر، الواعظ، رئيس الحنابلة، أبو محمد التميمي البغدادي. وُلِد سنة أربع مائة. وقيل: سنة إحدى. وتوفي في نصف جمادى الأولى، سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، ودفن في داره بباب المراتب، ثم نقل فدفن في سنة إحدى وتسعين إلى جانب قبر الإمام أحمد بن حنبل. انظر ترجمته في الذهبي. 1405هـ/ 1985م. سير أعلام النبلاء. الطبعة الثالثة. بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة. ترجمة رقم 4422. ج14/ ص 95.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

مصدر كل ما سننقله عن العلماء، وما لم نشر فهو مما فتح الله به علينا. وصلى الله على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأوَّل : دقة تعبير القرآن

التقديم والتأخير في دعاء الخليل وإجابة الجليل:

دعا خليل الله إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يبعث مِن أهل مكة رسولاً فقال : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. البقرة: 129. فاستجاب الله له دعائه بالصِّيغة نفسها مع التقديم والتأخير، فقال عزَّ من قائل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. آل عمران: 164. وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. البقرة: 151. وقال أيضاً : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. الجمعة: 2.

فالسؤال المتبادر إلى الذِّهن هو : لِمَ اختلفت صيغة إجابة الجليل في الآيات الثلاث عن صيغة دعاء الخليل عليه السلام مِن تقديم و تأخير؟ فإنَّ الخليل عليه السلام دعا مقدِّماً تعليم الكتاب والحكمة على التزكية : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾ الآية. فاستجاب له الجليل ولكن مقدِّماً التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في الآيات الثلاث مع اتفاق في صيغتي الدعاء والإجابة من الجليل والخليل في بداية الدعاء والإجابة ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ؟ .

لعل خليل الله إبراهيم عليه السلام لم يظن طرفة عين أنَّ أهل مكة – الذين مِن ذريته والذين سأل الله أن يبعث فيهم رسولاً – سيُبدِّلون توحيد الله كفراً وشرك ويُضلوا عن سبيله، ظنَّ أنَّهم سيبقون على ملَّته مسلمين، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحج: 78. فقدَّم في دعائه التعليم على التزكية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾. أمّا الجليل فقدَّم في إجابته – في الآيات الثلاث– التزكية على التعليم، لأنَّه سبق في علمه الأزلي أنَّهم سيغيّرون ويُبدِّلون ملَّته، فأراد أن يُنبِّه – في تقديمه التزكية على التعليم– أنَّهم حين يغيّرون ويُبدِّلون التوحيد إلى الشِّرك، سيحتاجون إلى تزكية نفوسهم لإعادتها إلى فطرتها التي فطرها الله عليها ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾. الأعراف: 172. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الروم: 30.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

التخلية قبل التحلية:

إنَّ التخلية قبل التحلية، أي تزكية النفوس من الشركيات وتطهيرها من دنس الشِّرك والخبث التي سيكون عليها أهل مكة حين أبعث فيهم هذا الرَّسول الكريم من ذريَّتك ، أَوْلى ومقدَّم على التَّعليم ، لأنَّهم سيكونون في ذلك الوقت قد أحدثوا في دينك الحنيفية ما لم آذن به وما لا ترضاه أنت . ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. آل عمران:67. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. إبراهيم: 28. فلهذا السَّبب قدَّم الجليل في إجابته لدعاء خليله عليه السلام التزكية على التعليم تنبيهاً على أهمية تزكية النفس لتوحيده جلَّ جلاله.

وقد قسم العلماء موضوعات القرآن إلى ثلاث موضوعات: التوحيد أو العقيدة، القَصَص أو الأخبار، الأحكام أو التشريع. أمّا الموضوعان الأوَّلان التوحيد أو العقيدة، والقصص أو الأخبار، فكانت مِن نصيب الفترة المكية حيث واجهت الرِّسالة الجديدة العِناد والكفر مِن مشركي قريش، فكان التركيز على أهم الأمور وهي التوحيد، إذ لا معنى والأمر كذلك في إنزال الأحكام والتشريعات، فالقوم لم يؤمنوا بل يعارضون الرِّسالة والتوحيد معارضة شديدة ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾. ص: 5. فاقتضت الحكمة الإلهية الاقتصار على الإيمان بالله وحده ورسوله ﷺ والبعث والنشور. ولذلك فإنَّ رسالة جميع أنبياء الله ورسله عليهم السَّلام بدأت بأمر التوحيد فهو الأساس الذي يُبنى عليه جميع الشِّرائع.﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. الأعراف: 59. ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. الأعراف: 65. ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾. الأعراف: 72.

الرُّسل والأنبياء أزكى خلق الله وأطهرهم:

اختلف الأمر عندما ذكر الأنبياء والرَّسل عليهم السَّلام، فالأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام هم أزكى خلق الله وأطهرهم، فرسالتهم جميعها هي رسالة التوحيد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. الأنبياء: 25. فحين ذكرهم لم يذكر التزكية في حقهم بل التعليم فقط، فهم مزكّون ومطهَّرون من كل أنواع الشِّركيات ولذلك اصطفاهم الله واختارهم لرسالته، فهم الذين يذبُّون عن التوحيد.

قال الله تعالى في نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. يوسف: 22. لم يقل الله "ولما بلغ أشدَّه زَكَّيناه وآتيناه حكماً وعلماً" . وفي كليمه عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. القصص: 14. كذلك لم يقل الله "ولما بلغ أشدَّه زَكَّيناه وآتيناه حكماً

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وعلماً". وفي عيسى عليه السلام قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. آل عمران: 48. كذلك لم يقل "ويُزكيه ويعلِّمه الكتاب والتوراة والإنجيل".

وفي نبيه لوط عليه السلام قال: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾. الأنبياء: 74. وقال في نبيه داود عليه السلام: ﴿...وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ...﴾. البقرة: 251 . وقال في داود وسليمان عليهما السَّلام : ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴾. الأنبياء: 78 – 79. وفي سيّد المرسلين والأنبياء محمّد ﷺ قال: ﴿...وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. النّساء: 113.

فالأنبياء مزكّون مِن أوّل، أمّا غيرهم مِن البشر فيحتاجون إلى تزكية نفوسهم مِن الشّركيات وإخلاص عبادتهم لله وحده ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. التوبة: 31. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. البيّنة: 5.

المبحث الثاني : استعمالات خاصة للقرآن الكريم لبعض المفردات

كثيراً ما يستعمل القرآن الكريم بعض المفردات استعماله الخاص به، فيُخرجها مِن مألوفها ليعطيها معاني جديدة لا يُبعدها عن مألوفها ولكنَّه يضيف إليها معاني خاصة في مواضع مختلفة، وههنا ذكر بعض هذه المفردات ممّا فتح الله تعالى علينا.

المسجد الحرام: لعل كثير مِن الناس حين يسمع اسم "المسجد الحرام" يتبادر إلى ذهنه أنَّه الموقع الذي يقع فيه الكعبة فحسب، بَيْدَ أنَّ القرآن الكريم حين يذكر اسم "المسجد الحرام" إنَّما يقصد به أكبر مِن هذه المساحة، بل في أغلب الأحيان يقصد به مكة المكرَّمة وليس موضع الكعبة فقط، فمِن السّياق الآية نفهم أي الموضعين هو مقصود الآية، أمكة المكرَّمة أم موضع الكعبة.

وقد حدَّد العلماء قديماً وحديثاً مساحة التي يُطلق عليها الحرم المكي. وذكر القرآن الكريم خمسة عشرة مرَّة اسم "المسجد الحرام" وفي أغلب هذه المرّات يقصد مكة المكرَّمة وليس موضع الكعبة فقط. وها هي الآيات التي ذَكر الله فيها اسم "المسجد الحرام" حسب ترتيب المصحف: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. البقرة: 144. أي اتَّجه في صلاتك إلى الكعبة التي في مكة. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾. البقرة: 149 – 150. هنا مكة المكرَّمة والكعبة معاً، أي اتَّجه إلى الكعبة عند صلاتك إن كنتَ مِن أهل مكة، وإلى مكة الكرَّمة إن كنتَ بعيداً ولست مِن سكان مكة المكرَّمة.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. البقرة: 191. أي لا تقاتلوا المشركين في بلد الله الحرام مكة فالقتال فيها حرام إلا إذا بدأوا هم بقتالكم فيها. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. البقرة: 196. أي لمن لم يكن مِن سكان الحرم أي مكة المكرَّمة.﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾. البقرة: 217. أي إخراج أهل مكة – رسول الله ﷺ والصَّحابة رضي الله تعالى عنهم من بلدهم مكة ظلماً وبغياً أكبر، وفتنة الرَّجل في دينه أكبر وأشد عند الله مِن القتل في أشهر الحرام.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. المائدة: 2. أي بسبب أن منعوكم مِن دخول مكة لأداء العمرة. ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الأنفال: 34. يصدَّون المسلمون عن مكة ظلماً وعدواناً بغي حق.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. التوبة: 7. أي مكة المكرَّمة. ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. التوبة: 19. الكعبة، أي عمارة الكعبة المشرَّفة. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. التوبة: 28. أي لا يجوز لهم دخول مكة بعد هذا العام، أي عام تسعة للهجرة. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. الإسراء: 1. هنا يجوز أن يكون مكة المكرَّمة والكعبة معاً

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

حسب اختلاف العلماء في موضع الذي بدأت رحلة الإسراء أمِن بيته أم داخل الكعبة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. الحج: 25. يصدّون المسلمون عن مكة ظلماً وعدواناً. ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. الفتح: 25. أي صدُّوكم عن دخول مكة لأداء العمرة في عام ست مِن الهجرة. ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. الفتح: 27. أي سوف تدخلون مكة لأداء العمرة كما وعدتكم بذلك.

الرّيح : الرّيح هي الهواء المتحرّك وجمعها الرّياح، المواضع التي ذكر الله فيها إرسال الرّيح بلفظ الواحدة تأتي عَنِ العذاب، أمّا إذا جاءت بلفظ الجمع فتأتي بمعنى الرّحمة، وها هي آيات الرّيح والرّياح : ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. آل عمران: 117. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. الأنفال: 46. ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. يونس:10. ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾. يوسف: 94. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾. إبراهيم: 18. ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا﴾. الإسراء: 69. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾. الأنبياء: 81. ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. الحج: 31. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. الأحزاب: 9.﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾. الرُّوم: 51. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾. سبأ: 12. ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾. ص: 26. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾. فصلت: 16.﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. الشورى: 23. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. الأحقاف: 24. ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾. الذاريات: 41. ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾. الحاقة: 16.﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾. القمر: 19.

فقولنا المواضع التي ذكر الله فيها إرسال الرّيح بلفظ الواحدة تأتي عَنِ العذاب قاعدة غير مستطردة في القرآن، فقد جاءت كلمة الرّيح في تسعة عشرة موضع في القرآن الكريم بمعاني مختلفة وإن كانت أغلبها جاءت في العذاب، وهاهي مواضع التي جاءت فيها كلمة الريح في غير معنى العذاب حسب ترتيبها في المصحف. فآية الأنفال ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. فالرّيح في الآية ليست ريح العذاب، بل معناها قوتكم، أي تذهب قوتكم عند نزاعكم، وهذا يُفهم مِن السّياق. والريح في قوله: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾. فالرّيح ههنا ليست معناها العذاب بل معناها رائحة يوسف عليه السلام، شمَّ نبي الله يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام مِن الرّيح التي هاجت فحملت ريح قميص يوسف عليه السلام إلى أبيه في فلسطين. فهذا يُفهم مِن سياق الآية. وكذلك الآيات 81 الأنبياء و12 سبأ و26 ص عن نبي الله سليمان عليه السلام، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ و ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾. و ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

وصف الله تعالى الرّيح في آية الأنبياء بقوله ﴿عَاصِفَةً﴾ ووصفها في آية ص بقوله ﴿رُخَآءً﴾ والعاصفة هي الشديدة، والرُّخاء هي اللّينة، ولا تعارض بين الوصفين لأنَّ الرّيح كانت ليّنة طيبة وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين ولكنَّها في كل هذه الحالات لم تكن عذاباً.

أمّا آية الشوري : ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. فإنَّها جاءت في معرض إمتنان الله على عباده بما أنعم به عليهم مِن إنزال الغيث وسير السُّفن في البحر بالرّيح بأمره، وسياق الآيات تدل على ذلك ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ...﴾ إلى قوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾. فالرّيح ههنا إذن ليست عذاباً. أمّا بقية الآيات الثلاثة عشر، فقد جاءت في العذاب. والعلم عنده سبحانه وتعالى.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أمّا آيات الرّياح: فهي عشرة وكلُّها في الرَّحمة، وها هي حسب ترتيب المصحف: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. البقرة: 163. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. الأعراف: 57. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾. الحجر: 22. ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾. الكهف: 45.﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾. الفرقان: 48. ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. النَّمل: 63. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. الرُّوم: 46. ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. الرُّوم: 48. ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾. فاطر: 9. ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. الجاثية: 5.

الرَّجل: وردت كلمة "رجل" في القرآن الكريم اثنتين وعشرون مرَّة، وكلمة "رَجلين" مرَّتين فقط، وها هي حسب ترتيبها في المصحف: البقرة: 282. النِّساء: 12. الأنعام: 9. الأعراف: 63 و69 و155. يونس: 2. هود: 78. الإسراء: 47. الكهف: 37. المؤمنون: 25 و38. الفرقان: 8. القصص: 20. الأحزاب: 4. سبأ: 7 و43. يس:20. الزمر: 29. غافر: 28. الزخرف: 31.

ممّا يُلاحَظ في هذه الاثنتين والعشرون مرَّة ، أنَّ كلمة "الرَّجل" جاءت في وصف المؤمن فقط ، إلا ما كانت في ثلاث مرّات في سورة واحدة وهي الزمر عند ضرب المثل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الزمر: 29.

ومرَّة واحدة فقط في قوم مجرمين وهم قوم لوط عليه السلام، ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾. هود: 78. والسبب في أنَّ نبي الله لوط عليه السلام خاطبهم بوصف الرجولة ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ وهي المرَّة الوحيدة في القرآن

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وُصِف فيها قوم مجرمون كفرة فجرة بصفة الرُّجولة، لأنّه عليه السلام كان يستعطفهم ويأمل أن يرجعوا إلى رشدهم وأن لا يعتدوا على ضيوفه – الملائكة – فلذلك قال لهم :﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾

وبما أنَّه لم يكن فيهم رجلاً رشيداً، تمادوا في طغيانهم يعمهون، فكان عقابهم مِن الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. هود: 82 – 83. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. الزخرف: 31 .

قال ابن كثير: أي: هلاَّ كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف. قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: أنَّهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي. وقيل: يعنون الوليد بن المغيرة، ومسعود بن عمرو الثقفي. وقيل: أنهم يعنون الوليد بن المغيرة، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. وقيل أيضا: يعنون عتبة بن ربيعة بمكة، وابن عبد يا ليل بالطائف. أو: عنوا بذلك الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي. بعد ذكر هذه الأقوال فيمن تعنيه قريش مِن ﴿...رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. قال ابن كثير رحمه الله: والظّاهر: أنَّ مرادهم رجلٌ كبير مِن أي البلدتين كان. وهذا هو أرجح أقوال[4]. فإذا كان ذلك كذلك وإذ لم يرِد شيء مِن تفسير عن المعصوم ﷺ فيمَن تعنيه قريش بـ ﴿...رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. فأقول أنَّه مِن الجائز أن يكون رجلاً مِن قريش الذين أسلموا يوم الفتح أو قبله كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، أمّا عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنهما فقد أسلم وقتله قومه لإسلامه.

فبناءاً على هذا، يبقى ما ذكرناه مِن أنَّ الآية ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هي المرَّة الوحيدة في القرآن وُصِف فيها قوم مجرمون كفرة بصفة الرُّجولة، ولكن كان استعطافاً مِن نبي الله لوط عليه السلام محاولة منه عليه السلام لردّهم إلى رشدهم إن كانوا رجالاً حقاً، لأنَّهم لم يكونوا رجالاً في ذلك الوقت ولكن مجرَّد ذكور، وصفة الذكورة ليست في الإنسان فحسب بل كذلك في بقية الكائنات ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذّاريات: 49. أمّا صفة الرُّجولة فليست إلا في العقلاء الآدميين.

الرِّجال: أمّا كلمة "الرِّجال" فقد وردت ذكرها في القرآن الكريم ثلاثا وعشرين مرَّة، في ثلاثة أصناف مِن البشر وهم الأنبياء عليهم السَّلام، والمؤمنون، والذكور البشر أي ضد الأنثى البشر، والجِن. لأفصِّل لك ما أجملته في السُطّور التالية بإذن الله.

[4] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج 4. ص 129.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أمّا الآيات التي تصف الأنبياء عليهم السَّلام بالرّجال فعددها ثلاث آيات ، وهي :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. يوسف: 109. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. النَّحل: 43. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. الأنبياء: 7. الآيات التي تصف المؤمنون بالرّجال أربع عشرة آية وهي: ﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. البقرة: 228. ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. النِّساء: 7. ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. النِّساء: 32. ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾. النِّساء: 34. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾. النِّساء: 75.﴿...وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. النِّساء: 176. ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾. الأعرف: 46. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. الأعرف: 48. ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. التوبة: 108. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. النور: 37. ﴿...أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...﴾. النور: 31. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. الأحزاب: 23. ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. الفتح: 25. ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾. ص: 62. أمّا كلمة الرّجال التي وردت في القرآن عن الذكور البشر، فعددها ست آيات، آية واحدة في عامة الذكور من بني آدم وثلاث آيات في كفار قوم لوط وآية واحدة في بعض رجال الجاهلية قبل الإسلام، وهي التالية: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾. النِّساء: 1.﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾. الأعراف: 81. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. النمل: 55. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾. العنكبوت: 29: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. الجن: 6.

أمّا وصف الجن بالرّجال فقد ورد مرّة واحدة فقط وهي : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. الجن: 6. أمّا وصف القرآن الكريم الأنبياء عليهم السَّلام بالرّجال، فهذا أمرٌ لا كلام فيه.

فإن قلتَ: مِن بين الأربع عشرة آية التي ذكرتموها أنَّها تصف المؤمنين بالرّجال، لم أَجد غير آيتين تصفهم كذلك وهي الأحزاب والفتح ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ و ﴿...وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...﴾. أمّا بقية الآيات فليس فيها ما ذكرتَ ؟ . إنّك لم تجد غير آيتين تصفهم كذلك لأنَّك حاولت فهم الآيات بعيدة عن سياقها، أمّا إنَّك لو كنتَ حاولتَ فهم الآيات مرتبطة بسياقها لوجدتَها أنّها عنهم تتحدَّث. فآية البقرة ﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ...﴾. ولو أنَّها لم تصف الرّجال ههنا بالإيمان إلا أنّها عن المؤمنين فقط تتحدَّث وليس غيرهم، فالسّياق الآية عن الأحكام التشريعية فيما يُسميَّ الآن الأحوال الشَّخصية وحقوق وواجبات الزَّوجين تجاه بعضهما البعض بدءاً مِن الآية ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُ...﴾. البقرة: 221. إلى قوله تعالى في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها ﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أمّا رجال الأعراف، فعقيدة أهل السنَّة والجماعة هي أنَّهم مِن أهل الجنَّة. وأمّا قوله تعالى: ﴿...أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...﴾.

الإرب هو الحاجة الشَّديدة[5] وهو كناية عن الحاجة إلى النِّكاح، أي كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وَلَهٌ، ولا همَّ لهم إلى النِّساء ولا يشتهونَّ. قال ابن عباس: هو المغفَّل الذي لا شهوة له[6]. ومع ذلك فهم مؤمنون يعيشون مع أقاربهم المؤمنون في المجتمع. أمّا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾. هؤلاء هم الرّجال المؤمنون الذين كان يزعم الكبار الجبابرة في الدنيا في كل زمانٍ ومكانٍ أنّهم الأشرار، كما قال قوم نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا

[5] الراغب الأصفهاني، الحسين. 1418هـ/ 1998. مفردات ألفاظ القرآن. الطَّبعة الثانية. دمشق: دار القلم، بيروت. الدار الشّامية.، ص 72.
[6] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 3/ 275.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. هود: 27. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾. الشُّعراء: 111.

فكانت النَّتيجة في الآخرة ما حكى الله لنا في الحوار بين هؤلاء الكفرة الجبابرة وبين من عدّوهم ووصفوهم في الدنيا بالأشرار والأرذلين ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. الأعراف: 44.

كأنَّ الله يخبرنا في هذا الحوار: بل أنتم الكفرة الأشرار الأرذلون وقود النّار فلَعْنَتي عَلَى الظَّالِمِينَ، أمّا هؤلاء فهم المؤمنون الرِّجال ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. الأعراف: 49. وكذا بقية الآيات التي وصفت الرِّجال دون وصف الإيمان، فإنَّك إن قطعتها عن سياقها لم تفهم وإن قرأتها في سياقها وَجدت أنَّها تتحدَّث عن المؤمنين دون غيرهم.

فإن قلتَ لِمَ صنَّفتم قوم لوط في عامة الذكور مِن بني آدم، مع أنَّ القرآن الكريم وصفهم بالرِّجال، وصنَّفتموهم أنتم في كفّار، أليس ذلك مخالفة للنَّص القرآن الكريم ؟ .

قلنا: سؤال وجيه والإجابة عنه بإذن الله آتية. اعلم وفَّقك الباري أنَّ أفضل تفسير القرآن الكريم هو القرآن نفسه، كما نص عليه أهل العلم. فما أُجمِل في موضع فُصِّل في موضع آخر، وما قُيِّد في مكان أُطلق في آية أخرى. كذا الآيات الثلاث في الأعراف والنَّمل والعنكبوت التي وصفت كفار قوم نبي الله لوط عليه السلام بالرِّجال ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...﴾ و﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...﴾ و ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ .

فلئن كانت هذه الآيات الثلاث وصفتهم بالرِّجال إلا أنَّها لا تقصد بالرِّجال، الرُّجولة التي وُصِف بها المؤمنون، بل تقصد بالرِّجال في هذه المواضع الثلاث الذكورة، وليست رجولة الرِّجال، بدليل قوله تعالى في آية أخرى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾. الشعراء: 165 – 166. فهذه الآية تفسِّر وتوضِّح معنى الآيات الثلاث في الأعراف والنَّمل والعنكبوت في أنَّ معني الرِّجال هو الذكورة وليس الرُّجولة بمعنى الرِّجال مثل ما وصف به المؤمنون. والعلم عند الله تعالى.

إنَّنا نُلاحظ أمراً عجيباً في تعبير القرآن الكريم ودقَّته في اختيار كلماته، فالله سبحانه وتعالى لم يُسم الكفّار في هذه الآيات الثلاثة والعشرين التي وردت فيها كلمة الرِّجال، لم يسمهم بالرِّجال إلا مرَّة واحدة فقط في آية النِّساء في

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

قوله : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾. الآية الأولى .

وهذه الآية هي التي تشير إلى بدء الخلق، فكأنَّ الله تعالى يشير إلى شيء وهو أنَّه تعالى خلقهم رجالاً موحِّدين مسلمين ﴿...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...﴾. الأعراف: 172.

وذلك حين كانوا في صلب أبينا آدم عليه السلام، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾. الأعراف: 172. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. الرُّوم: 30 – 31. "كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه كمثل البهيمة تُنتِج البهيمة هل ترى فيها جَدعاء[7]".

كأنَّهم حين بدَّلوا فطرة الله التي فطرهم الله عليها، التوحيد والإيمان بالله وحده ورسله ، بدَّل الله تسميتهم إلى الأنعام ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. الأعراف: 179. ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾. محمَّد: 12.

أجل بل هم أضل مِن الأنعام، لأنَّهم لم يستعملوا عقولهم في أداء فيما لأجله خُلقوا وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. الذاريات: 56.

ولكن مِن عدل الله تعالى وإنصافه أن سمّى أهل الجاهلية بالرِّجال في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. الجن: 6. والسِّر في ذلك – والعلم عند الله تعالى – لأنَّهم كانوا في العصر الجاهلية ومعذورون، وهم أهل الفترة المختَلَف في مصيرهم.

الملأ: قال الراغب في المفردات: الملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العيون رِواءً ومنظراً، والنُّفوس بهاءات وجلالاً[8]. أو هم أشراف القوم وسَراتهم[9].

---

[7] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين. الحديث رقم 1385.

[8] الراغب الأصفهاني، الحسين. مفردات ألفاظ القرآن 776.

[9] إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر . محمد النجار. المعجم الوسيط. د.ت. القاهرة، مصر. مجمع اللغة العربية. 882.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

جاء ذكر كلمة الملأ في القرآن الكريم مِن الملأ وملئه وملئهم ثلاثين مرَّة، كلّها في الكفَّار الجبابرة مِن قوم نوح عليه السلام، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. هود: 25 -27.

مارّاً بفرعون الذي أُرسِل إليه كليم الله موسى عليه السلام، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾. الأعراف: 127.

إلى قوم سيّد الأنبياء والمرسلين محمَّد ﷺ، ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾. ص: 6. إلا في أربع مواضع، فإنَّه جاء فيها موضعان للملأ الأعلى، وموضع في قوم مِن بني إسرائيل – وكانوا مسلمين مجاهدين كما تشير إليه الآية، وموضع في المقرَّبين مِن نبي الله سليمان عليه السلام. وهذه هي المواضع الأربعة حسب ترتيبها في المصحف:

في قوم مِن بني إسرائيل مِنْ بَعْدِ مُوسَى عليه السلام. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. البقرة: 246. ﴿...الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾ كانوا مسلمين مجاهدين في سبيل الله، بدليل قوله تعالى عنهم: ﴿...إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

في المقرَّبين مِن نبي الله سليمان عليه السلام. ﴿قَالَ يأيها الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. النَّمل: 38. كانوا أشراف جنده مِن الإنس والجن.

في الملأ الأعلى : ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾. الصَّافات: 8. وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. ص: 69.

القوم: الجماعة مِن النَّاس تجمعهم جامعة يقومون لها. مِن أكثر الكلمات وروداً في القرآن الكريم، جاء استعماله في القرآن الكريم في الرِّجال والنِّساء المؤمنين والمشركين والكفّار، إلا أنَّ القرآن استعمله مرَّة واحدة للرِّجال فقط.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. الحجرات: 11.

الفلك: ورد ذكر الفُلك في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرَّة في السُّوَر التالية حسب ترتيبها في المصحف: البقرة الآية: 164. الأعراف: 64. يونس: 22 و73. هود: 37 و38. إبراهيم: 32. النَّحل: 14. الإسراء: 66. الحج: 65. الأنبياء: 33. المؤمنون: 22 و27 و28. الشُّعراء: 119. العنكبوت: 65. الرّوم: 46. لقمان:31. فاطر: 12. يس: 40 و41. الصّافات: 140. غافر: 80. الزخرف: 12. الجاثية: 12.

هذه المرّات الخمس والعشرون يمنّ الله فيها على النّاس أجمعين مؤمنهم وكافرهم بارهم وفاجرهم بأنَّه سخَّر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره ليبتغوا مِن فضله.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. الإسراء: 66﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. الحج: 65.﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. الشعراء:119.

هذه الآيات تذكر تسخير الله الفلك في البحر للنّاس جميعهم، الأنبياء عليهم السَّلام والصَّالحين والمشركين.

أمّا السَّفينة فلم يرِد ذكرها في القرآن كلّه إلا أربع مرّات فقط في قصَّتين مختلفتين، ثلاث مرّات في نبي الله وكليمه موسى عليه السلام مع العبد الصَّالح، ومرَّة واحدة في نبي الله نوح عليه السلام، أي أنَّ ركاب السَّفينة في هذه المرّات هم نبي مِن أنبياء الله عليهم السَّلام. وهي التالية: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾. الكهف:71. ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾. الكهف: 79. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. العنكبوت: 15. ففي آيتي الكهف 71 و79 كان في السَّفينة كليم الله موسى عليه السلام والعبد الصَّالح ، أمّا في آية العنكبوت فكان فيها نوح عليه السلام .

أمّا الآية التي لا أريدك أن تسألني عنها ولكنّي أعلم أنَّك لا بد وأن تسألني عنها وأنا للإجابة عنها في حرجٍ شديد، وهي الآية ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. الصَّافات: 140 – 141.

قلتَ: إذا كان الأمر كما قلتَ أنَّ الآيات التي وردت فيها ذكر السَّفينة كان ركّابها نبي مِن أنبياء الله عليهم السَّلام ، فَلِمَ لم تكن الآية "وإنَّ يونس لمِنَ المرسلين إذ أبق إلى السَّفينة المشحون" مثلاً، بل جاءت الآية كما تعلم ؟

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

. نقول: والعلم عند الله ونستغفر الله العظيم، لعلَّه لأجل هذه الآية: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. الأنبياء: 87. لن نزد على هذا أملاً منّا أنَّك ستفهمه تلقائياً، فاللبيب بالإشارة يفهمُ، فالمقام مقام النّبوة وصلى الله عليهم أجمعين.

الخلاصة :

بعد هذه الجولة في رحاب القرآن الكريم ، نستخلص إلى اثبات كون القرآن الكريم لا ينضب معينه وأنَّ رسول الله ﷺ لم يفسِّر كل معاني القرآن الكريم وأنَّه أراد بذلك أن يقرِّر أبديَّة القرآن الكريم واستمراريته في العطاء، فكتاب الله لا تنقضي عجائبه ، ، فالذين قاموا بتفسير كتاب الله تعالى مِن بعده ﷺ بدءاً بالصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى يومنا هذا إنَّما فسَّروه حسب طاقتهم وقدراتهم ، وكم ترك السَّلف للخَلَف..، وقد أودع الله فيه مِن الأسرار يمكن لكل جيل من أجيال المسلمين إعادة قراءة القرآن وتفسيره في ضوء ما تواجهه من تحديات وفيما يحتاجه من حلول لمشكلات عصره.

هذا ما وفَّقنا الله لصيده في بحر القرآن الكريم أثناء جولتنا في رحابه ، وها نحن ذا واضعه على مائدتك طَرِيّاً، فإن أعجبك كلّه أو شيء منه فكله هنيئاً مريئاً، وإن لم يُعجِبك فاسلك فيه سنَّة نبيك ﷺ، كان ﷺ إذا اشتهى شيئاً مِن الطّعام أكله وإلا تركه[10]. إلا أن تريد كما قال العلماء بجواز ذكر بعض النقص في الطعام مِن باب النصيحة لِمن طبخه ليتجنَّب الخطأ نفسه في طبخه القادم أو يصلح الطعام نفسه إن أمكن ذلك ، فذلك مُرَحَّبٌ به بل هو واجب عليك وهو حقنا عليك.

فالله تعالى نسأل أن يرزقنا وإيّاك فهماً لكتابه ويزيدنا حبّاً فيه وقرباً إليه وأن يحشرنا مع الذين حملوه إلينا أبي بكر الصِّديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وصلى الله على البشير النذير محمَّد بن عبد الله وعلى آله الطيّبين وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[10] إشارة إلى الحديث الذي أخرجه عن أبي هريرة، البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، الحديث رقم 3563 وكتاب الأطعمة، باب: ما عاب النبي ﷺ طعاماً، الحديث رقم 5409. و مسلم في الأطعمة، باب: لا يعيب الطعام. الحديث رقم 5348.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 12, No. 13, (2017), pp. 21-40
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Al-Quran al-Karim

[2] Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail (1993). *Tafsir al-Quran al-Azim*. Madinah: Maktab al-Ulum wa al-Hikam

[3] Al-Bukhari, Muhammad b. Ismail (2002). *Sahih al-Bukhari*. Cairo: Maktaba al-Safa.

[4] Al-Dhahabi, Sham al-Din Muhammad b. Ahmad b. Uthman (1985). *Siyar A'lam al-Nubala*. 3rd edition, Beirut: Muassasa al-Risala.

[5] Al-Raghib al-Isfahani, al-Husayn. (1998). *Mufradat Alfaz al-Quran*. 2nd edition, Damascus: Dar al-Qalam.

[6] Abd al-Baqi, Muhammad Fuad. (1991). *Al-Mu'jam al-Mufahras li-Alfaz al-Quran*. 3rd edition, Cairo: Dar al-Hadith.

[7] Muslim b. al-Hajjaj. (2000). *Sahih Muslim*. 1st edition, Beirut: Dar al-Ihya al-Arabi.

[8] Ibrahim Mustafa, Ahmad al-Ziyat, Hamid Abd al-Qadir, Muhammad al-Najjar. (n.d.) *Al-Mu'jam al-Wasit*. Cairo, Egypt: Mujamma al-Lugha al-Arabiyya.